**﷽**

**مجالس دراسة كتـــاب: معانــي القــرآن للإمام الفراء**

**تعليق الشيخ الدكتـــور: عبد الســـلام مقبل المجيـــدي**

**المجلس الرابع عشر/ ســورة النساء (54- سورة المائدة (1)**

**الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين. أما بعد، فاللهم اغفر لنا ولمشايخنا والحاضرين والمستمعين ولجميع المسلمين. وبأسانيد مشايخنا -حفظهم الله تعالى- إلى عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ -أو قال: يَرْحَمُكُمْ- مَنْ فِي السَّمَاءِ».**

**وبأسانيد مشايخنا -حفظهم الله تعالى- إلى كتاب: معاني القرآن للعلامة الفراء -رحمه الله تعالى؛ قوله في سورة النساء: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلى مَا آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ هذه اليهود حسدت النَّبِيّ ﷺ كثرة النساء، فقالوا: هذا يزعم أنه نبىّ وليس له هُمْ إلا النساء فأنزل اللَّه تبارك وتعالى (فَقَدْ آتَيْنا آلَ إِبْراهِيمَ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ وفي آل إِبْرَاهِيم سُلَيْمَان بْن دَاوُد)، وكان له تسعمائة امْرَأَة، ولداود مائة امْرَأَة، فلما تليت عليهم هذه الآية كذب بعضهم وصدق بعضهم، وهو قوله: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ﴾ بالنبأ عن سُلَيْمَان وداود ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ﴾ بالتكذيب والإعراض.**

**قال شيخُنا الدُّكتور -وفَّقه الله- مُعلقًا: هذا من أعجب ما أورده الفرّاء رحمه الله وينبغي أن يتتبّع من قال بقوله؛ فإنهم إنما حسدوا النبي ﷺ على النبوّة وليس على النساء، ولا شك أنهم حسدوه على أشياء كثيرة ومن ذلك كثرة أمته ﷺ، لكن أن يؤتى بهذا في تفسيرٍ لا يُشار إلى غيره! هذا من التفسير بضرب مثال كما قلنا، ولكن عجيب أن تورد هذه المسألة دون غيرها.**

**ومن لطائف هذا التفسير عند الفرّاء رحمه الله تعالى أنه يبيّن أصل المسألة، أصل المسألة عندما يتكلمون عن موضوع النساء والزواج في الإسلام والتعدد، هم يتكلمون طاعنين وحقيقة الأمر أنهم يتكلمون حاسدين؛ فإن النصارى ابتدعوا رهبانيةً في دينهم فأفسدوا إفسادًا عظيمًا جدًا بهذه الرهبانية، لأنه ترتّب على ذلك أن يشيع الزنا في كبارهم وأن تشيع الفاحشة في دهاقنتهم وأحبارهم، واليهود حصل لهم نفس الشيء.**

**وقوله: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُباتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعاً﴾ يقول: عصبًا، يقول إذا دعيتم إلى السرايا، أو دعيتم لتنفروا جميعًا.**

**وقوله: ﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ﴾ اللام التي فى (من) دخلت لمكان (إن) كما تقول: إن فيها لأخاك. ودخلت اللام فى (لَيُبَطِّئَنَّ) وهي صلة لمن على إضمار شبيه باليمين كما تقول فِي الكلام: هذا الَّذِي ليقومن، وأرى رجلا ليفعلن ما يريد. واللام فِي النكرات إذا وصلت أسهل دخولا منها فِي من وما والَّذِي لأن الوقوف عليهن لا يمكن.**

**وقوله: ﴿وَإِنَّ كُلًّا لَمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ﴾ من ذلك، دخلت اللام فِي (ما) لمكان إن، ودخلت فِي الصلة كما دخلت فِي ليبطئن.**

**وقوله: ﴿يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ العرب تنصب ما أجابت بالفاء فِي ليت لأنها تمن، وفي التمني معنى يسرني أن تفعل فأفعل. فهذا نصب كأنه منسوق كقولك فِي الكلام: وددت أن أقوم فيتبعني الناس. وجواب صحيح يكون لجحد ينوى فِي التمني لأن ما تمنى مما قد مضى فكأنه مجحود ألا ترى أن قوله ﴿يا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ﴾ فالمعنى: أكن معهم فأفوز.**

**قال شيخُنا الدُّكتور -وفَّقه الله- مُعلقًا: هذا من مزايا الفرّاء رحمه الله تعالى؛ فإنه يحلل الظواهر النحوية بصورةٍ لا يجدها الإنسان في كتب النحو، فهو الآن يبيّن لماذا جاء النصب في قوله تعالى: ﴿فَأَفُوزَ﴾، ثم يبيّن خلفية ذلك من الناحية النحوية بصورةٍ قد لا يجدها الإنسان في كتب النحو بهذا التوسُّع.**

**وقوله: ﴿وَما لَكُمْ لا تُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ و (المستضعفين) فى موضع خفض.**

**وقوله: ﴿الظَّالِمِ أَهْلُها﴾ خفض (الظالم) لأنه نعت للأهل، فلما أعاد الأهل على القرية كان فعل ما أضيف إليها بمنزلة فعلها كما تقول: مررت بالرجل الواسعةِ دارُه.**

**وقوله: ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هذِهِ مِنْ عِنْدِكَ﴾ وذلك أن اليهود لما أتاهم النَّبِيّ ﷺ بالمدينة قَالُوا: ما رأينا رجلا أعظم شؤما من هذا نقصت ثمارنا وغلت أسعارنا، فقال اللَّه تبارك وتعالى: إن أمطروا وأخصبوا قَالُوا: هذه من عند اللَّه، وإن غلت أسعارهم قَالُوا: هذا من قبل ﷺ . يقول اللَّه تبارك وتعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾.**

**وقوله: ﴿فَمالِ هؤُلاءِ الْقَوْمِ﴾ (فمال) كثرت فِي الكلام، حَتَّى توهموا أن اللام متصلة ب (ما) وأنها حرف فِي بعضه. ولاتصال القراءة لا يجوز الوقف على اللام لأنها لام خافضة.**

**وقوله: ﴿طاعَةٌ﴾ الرفع على قولك: منا طاعة، أو أمرك طاعة. وكذلك ﴿قُلْ لا تُقْسِمُوا طاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ﴾ معناه- والله أعلم-: قولوا: سمع وطاعة.**

**وقوله: ﴿بَيَّتَ طائِفَةٌ﴾ القراءة أن تنصب التاء، لأنها على جهة فعل.**

**وقوله: ﴿وَإِذا جاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ﴾ نزل فِي سرايا كان رسول اللَّه ﷺ يبعثها، فإذا غلبوا أو غلبوا بادر المنافقون إلى الاستخبار عن حال السرايا، ثُمَّ أفشوه قبل أن يفشيه رسول اللَّه ﷺ أو يحدّثه، فقال ﴿أَذاعُوا بِهِ﴾ يقول: أفشوه. ولو لم يفعلوا حَتَّى يكون رسول اللَّه ﷺ الَّذِي يخبر به لكان خيرا لهم، أو ردوه إلى أمراء السرايا. فذلك قوله ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾.**

**وقوله: ﴿لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ معناه: لعلمه الذين يستنبطونه إلا قليلا. ويقال: أذاعوا به إلا قليلا. وهو أجود الوجهين؛ لأن علم السرايا إذا ظهر علمه المستنبط وغيره.**

**وقوله: ﴿يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْها﴾ الكفل: الحظ. ومنه قوله: ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ معناه: نصيبين.**

**وقوله: ﴿وَكانَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتاً﴾ المقِيْت: المقدّر والمقتدر، كالذي يعطي كل رجل قُوته. وجاء في الحديث: كفى بالمرء إثمًا أن يضيّع من يُقِيت، ويقوت.**

**قال شيخُنا الدُّكتور -وفَّقه الله- مُعلقًا: الفرّاء أتى بالتفسير على وجهه (**كالذي يعطي كل رجل قُوته**)، لكن المصطلح الذي استخدمه في قوله "المقتدر" عامٌ جدًا، بينما المقيت مسألةٌ خاصة تتعلق بالقوت وتقديره**

**وقوله: ﴿وَإِذا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْها﴾ أي زيدوا عليها كقول القائل: السلام عليكم، فيقول: وعليكم ورحمة الله.**

**فهذه الزيادة أَوْ رُدُّوها قيل هذا للمسلمين. وأما أهل الكتاب فلا يزادون علي:
وعليكم.**

**قال شيخُنا الدُّكتور -وفَّقه الله- مُعلقًا: الصحيح أن الكلام يشمل المسلمين وغير المسلمين، وأما نهي النبي ﷺ فيظهر أنه كان خاصًا بحالة الحرب، أو فيما إذا عُلِم أن غير المسلمين يحيون بتحيةٍ فيها غموض أو تلاعب، وقد يفعلون هذا بأساليب متعددة.**

**وقوله: ﴿فَما لَكُمْ فِي الْمُنافِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾ إنما كانوا تكلموا فِي قوم هاجروا إلى المدينة من مكة، ثُمّ ضجروا منها واستوخموها فرجعوا سرا إلى مكة. فقال بعض المسلمين: إن لقيناهم قتلناهم وسلبناهم، وقال بعض المسلمين: أتقتلون قوما على دينكم أن استوخموا المدينة فجعلهم اللَّه منافقين، فقال اللَّه: فما لكم مختلفين فى المنافقين. فذلك قوله (فِئَتَيْنِ) .**

**قال شيخُنا الدُّكتور -وفَّقه الله- مُعلقًا: هذه الرواية بحاجة إلى زيادة تحقيق، والظاهر أن الكلام ليس عن هؤلاء وإنما الكلام عن الذين رجعوا في أحد، أما هذا فهو غريب وربما ورد عن بعض التابعين، ويُحتاج أن يُتثبّت منه.**

**وقوله: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا﴾ (فتثبتوا﴾ - قراءة عَبْد اللَّه بْن مَسْعُود وأصحابه. وكذلك التي فى الحجرات، وهما متقاربتان فِي المعنى. تقول للرجل: لا تعجل بإقامة حَتَّى تتبين وتتثبت.**

**وقوله: ﴿وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾[النساء:94] ذكروا أنه رجل سلّم على بعض سرايا المسلمين، فظنّوا أنه عائذ بالإسلام وليس بمسلم فقُتِل. وقرأه العامة: السَّلَم. والسَّلم: الاستسلام والإعطاء بيده.**

**قال شيخُنا الدُّكتور -وفَّقه الله- مُعلقًا: يناسب قراءة ﴿السَّلَم﴾، يناسبها رواية ابن وردان التي هي ﴿لَسْتَ مُوْمَنَاً﴾. فإذن عندنا حالتان: حالة الدخول في الإسلام عندما يلقي السلَم بمعنى يطلب الدخول في الإسلام، والحالة الثانية: حالة إعطاء الأمان، أيْ الاستسلام.. يطلب أن يؤسر ولا يدخل في الإسلام.**

**وفي كلا الحالتين فإنه ينبغي أن يؤمَّن ﴿وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَمَ﴾ و ﴿السَّلامَ﴾، ﴿لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾، ﴿لَسْتَ مُوْمَنَاً﴾ قراءة ابن وردان.**

**وقوله: ﴿لا يَسْتَوِي الْقاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾ يرفع (غير) لتكون كالنعت للقاعدين، كما قال: ﴿صِراطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ..﴾ وكما قال ﴿أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجالِ﴾ وقد ذكر أن (غير) نزلت بعد أن ذكر فضل المجاهد على القاعد، فكان الوجه فيه الاستثناء والنصب.**

**إلا أن اقتران (غير) بالقاعدين يكاد يوجب الرفع لأن الاستثناء ينبغي أن يكون بعد التمام.**

**وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ﴾ إن شئت جعلت ﴿تَوَفَّاهُمُ﴾ في موضع نصب. ولم تضمر تاء مع التاء، فيكون مثل قوله ﴿إِنَّ الْبَقَرَ تَشابَهَ عَلَيْنا﴾ وإن شئت جعلتها رفعا تريد: إن الذين تتوفاهم الملائكة. وكل موضع اجتمع فِيهِ تاءان جاز فِيهِ إضمار إحداهما مثل قوله ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾**

**وقوله: ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجالِ وَالنِّساءِ﴾ فِي موضع نصب على الاستثناء من ﴿مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ﴾.**

**وقوله: ﴿يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُراغَماً كَثِيراً﴾ ومراغمة، مصدران. فالمراغَم: المضطَرب والمذهب في الأرض.**

**قال شيخُنا الدُّكتور -وفَّقه الله- مُعلقًا: "مُرَاغَمًا" مأخوذ من الرغام وهو الرمل أو التراب، والمقصود: يجد في الأرض مكانًا يُرغِمُ فيه أنف عدوَّه الذي أخرجه من أرضه، وهذا هو الذي حصل لكفار قريش؛ فإن بعضهم فرِح بتشريد المسلمين فكان ذلك مراغمةً له في آخر الأمر.**

**وقوله: ﴿فَلْتَقُمْ﴾ كل لام أمر إذا استؤنفت ولم يكن قبلها واو ولا فاء ولا ثُمَّ كسرت، فإذا كان معها شيء من هذه الحروف سكنت. وقد تكسر مع الواو على الاصل.**

**وقوله: ﴿طائِفَةٌ أُخْرى﴾ ولم يقل: آخرون ثُمَّ قال ﴿لَمْ يُصَلُّوا﴾ ولم يقل:
فلتصل، ولو قيل: «فلتصل» كما قيل «أخرى» لجاز ذلك. وقال فِي موضع آخر: ﴿وَإِنْ طائِفَتانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا﴾ ولو قيل: اقتتلتا في الكلام كان صوابا.**

**وكذلك قوله: ﴿هَذَانِ خَصْمانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ ولم يقل: اختصما. وقال ﴿فَرِيقاً هَدى وَفَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلالَةُ﴾، فإذا ذكرت اسمًا مذكّرًا لجمعٍ جاز جمع فعله وتوحيده؛ كقول الله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ﴾[الشعراء:56]، وقوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ﴾[القمر:44]، وكذلك إذا كان الاسم مؤنّثًا وهو لجمع جعلت فعله كفعل الواحدة الأنثى الطائفة والعصبة والرفقة. وإن شئت جمعته فذكَّرته على المعنى. كلُّ ذلك قد أتى في القرآن.**

**قال شيخُنا الدُّكتور -وفَّقه الله- مُعلقًا: هذه من القواعد النحوية الجليلة؛ لأنه قال: ﴿فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ﴾ بالجمع، وهنا قال: ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ﴾[الشعراء:56] بالجمع، ثم قال: ﴿نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ﴾[القمر:44] بالإفراد، فهذه من القواعد التي قررها –رحمه الله-، قال: (فإذا ذكرت اسمًا مذكّرًا لجمع جاز جمع فعله وتوحيده).**

**وقوله: ﴿وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لا يَرْجُونَ﴾ قال بعض المفسرين: معنى ترجون: تخافون. ولم نجد معنى الخوف يكون رجاء إلا ومعه جحد. فإذا كان كذلك كان الخوف على جهة الرجاء والخوف، وكان الرجاء كذلك، كقوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾، هذه: ﴿لِلَّذِينَ﴾ لا يخافون أيام اللَّه، وكذلك قوله: ﴿مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقاراً﴾ لا تخافون لله عظمة.**

**قال شيخُنا الدُّكتور -وفَّقه الله- مُعلقًا: الأصل إجراء الكلام على ظاهره، ﴿وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لا يَرْجُونَ﴾[النساء:104] ليست في معنى تخافون، ولكن عند التوسُّع يتضمن الرجاء شيئًا من الخوف، أيْ شيئًا من الخوف على الفوت، لكن لا ينبغي تفسير هذا بضدّه إلا إذا كان هناك اضطرارٌ لذلك، ولا اضطرار، والمقصود: أنكم أيها المؤمنون ترجون من الله الجنة وهم لا يرجون من الله ذلك ولا يأملونه، وأنتم ترجون من الله تعالى النصر في الآخر وهم يرجون ذلك ويأملونه، لكنهم لا يرجونه من الله إنما يرجونه من حظوظهم وفعلهم وأياديهم، فاختلف إذن، وبذلك فإن الرجاء على بابه.**

**وقوله: ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْماً ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئاً﴾ يُقال: كيف قال «بِهِ» وقد ذكر الخطيئة والإثم؟**

**وَذَلِكَ جائز أن يُكْنَى عَن الفعلين وأحدهما مؤنث بالتذكير والتوحيد، ولو كثر لَجازَ الكناية عنه بالتوحيد؛ لأن الأفاعيل يقع عليها فعل واحد، فلذلك جاز.**

**وقال: ﴿إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا﴾[النساء:135] فثنّى. فلو أتى في الخطيئة واللهو والإثم والتجارة مثنى لجاز.**

**وقوله: ﴿لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ﴾ يريد: لقد همت طائفة فأضمرت.**

**وقوله: ﴿أَن يُضِلُّوكَ﴾: يُخطِّئوك في حكمك.**

**وقوله: ﴿لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْواهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ﴾ (من) فِي موضع خفض ونصب الخفض: إلا فيمن أمر بصدقة. والنجوى هنا رجال كما قال ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوى﴾ ومن جعل النجوى فعلا كما قال ﴿ما يَكُونُ مِنْ نَجْوى ثَلاثَةٍ﴾ ف (مَنْ) حينئذ فِي موضع رفع.**

**وقوله: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ إِنَاثًا﴾ يقول: اللات والعُزَّى وأشباههما من الآلهة المؤنثة.**

**قال شيخُنا الدُّكتور -وفَّقه الله- مُعلقًا: يعني هي "إلا وثُنًا" ثم بعد ذلك أُبدِلت الهمزة من "الواو".**

**قلنا "وثن" مثل ثمر، جمعه "ثُمُر" وجمعه أيضًا "ثُمْر" وهي قراءة أبي عمرو، ولكن قراءته ليست هنا وإنما في سورة الكهف.**

**ما زلت أعجب من هذه الآية ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ إِنَاثًا﴾، وقد فصّلت ما يتعلق بها تفصيلًا طويلًا جدًا في المفصَّل وليس في الوسيط من سورة النساء، وهو موجود على الموقع، ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ إِنَاثًا﴾ لماذا خصص الله ذلك مع أنهم يدعون -مثلًا- هبلًا، ويدعون ودًَّا وسواعاً ويغوث ويعوق ونسرا، ومع أنهم يدعون إسافًا؟ وهكذا، فلماذا نصّ الله تعالى على كلمة "إِلاَّ إِنَاثًا"؟!**

**ثم إنني نظرت إلى أول سورة النساء وإلى آخر السورة وإلى سياق سورة النساء، فرأيت أن الكلام عن الإناث مقصودٌ في ذاته، وخاصة أنه يذكر كلام الشيطان فيقول بأن الشيطان يقول: ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾[النساء:119] ومن أعظم أوجه تغيير خلق الله هذه الأيام التحوّل الجنسي من إناثٍ إلى ذكور ومن ذكور إلى إناث، والله تعالى قال في هذه السورة: ﴿وَلا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ﴾[النساء:32]، فكلمة "إناث" مقصودة بذاتها، ولكن الإشكال المتعلق بها هنا هو "يدعون"، فهل المقصود بالدعاء هنا هو دعاء العبادة ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ إِنَاثًا﴾؟ يصح ذلك؛ لأن الله تعالى ذكر هذه الآية بعد قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾[النساء:48]، ولكن يصح أن يُذكر في معنى "يدعون" أيْ يطلبون ويقصدون، ويدل على ذلك أن الله تعالى أتى بها بعد قوله: ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا (117) لَعَنَهُ اللَّهُ﴾[النساء:118].**

**و ﴿إِنْ يَدْعُونَ﴾ فإن الذين يدعون الشيطان بمعنى يعبدونه قليل بالقياس إلى الذين يطلبونه ويقصدونه ويتّبعون خطواته، والكلام هاهنا يطول، لكن هذه الآيات من أعجب الآيات، وهي أيضًا عند الإيقاع الواقعي لما يحدث في هذه الأيام تقول: صدق الله ومن أصدق من الله قيلًا، كما في هذه السورة.**

**وقوله: ﴿قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَما يُتْلى﴾ معناهُ: قل الله يفتيكم فيهنَّ وما يُتلى، فموضع (ما) رفع كأنه قال: يفتيكم فيهنّ ما يتلى عليكم. وإن شئت جعلت ما فِي موضع خفض: يفتيكم الله فيهنّ وما يتلى عليكم غيرهنّ.**

**وقوله: ﴿وَالْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ فِي موضع خفض، عَلَى قوله: يفتيكم فيهنّ وفى المستضعفين.**

**وقوله: ﴿وَأَنْ تَقُومُوا﴾ (أن) موضع خفض عَلَى قوله: ويفتيكم فِي أن تقوموا لليتامى بالقسط.**

**وقوله: ﴿خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا﴾[النساء:128] والنشوز يكون من قِبل المرأة والرجل، والنشوز هاهنا من الرجل لا من المرأة، ونشوزه: أن تكون تحته المرأة الكبيرة فيريد أن يتزوج عليها شابّة فيؤثرها في القسمة والجماع. فينبغي له أن يقول للكبيرة: إني أريد أن أتزوّج عليكِ شابَّة وأوثرها عليك، فإن هي رضيت صلح ذلك له، وإن لم ترض فلها من القسمة ما للشابّة.**

**وقوله: ﴿وَأُحْضِرَتِ الأنْفُسُ الشُّحَّ﴾ إنما عني به الرجل وامرأته الكبيرة. ضنّ الرجل بنصيبه من الشابة، وضنّت الكبيرة بنصيبها منه. ثم قال: وإن رضيت بالإمرة.**

**قال شيخُنا الدُّكتور -وفَّقه الله- مُعلقًا: الأصل إعمال اللفظ واللفظ يدلُّ على عموم ذلك في كل إنسان، ومن ذلك أن نقول: أعوذ بك من شرّ نفسي وشرّ الشيطان وشركه، الاستعاذة من شرور النفس وقد تعدد ذلك في دعاء النبي ﷺ يعلّمنا ذلك، ولكن في السياق ﴿وَأُحْضِرَتِ الأنْفُسُ الشُّحَّ﴾ يعني أن الرجل يشحّ أن يتنازل للمرأة حتى يصلح ما بينه وبينها، وأن المرأة تشحّ أن تتنازل للرجل حتى تصلح ما بينها وبينه، فهذا السياق، فهو ذكر مثالًا جزئيًا جدًا فحجّر واسعًا رحمه الله.**

**وقوله: ﴿فَلاَ تَمِيلُواْ كُلَّ الْمَيْلِ﴾ إلى الشابة، فتهجروا الكبيرة كل الهجر ﴿فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾ وهي في قراءة أُبَيّ "كالمسجونة".**

**قال شيخُنا الدُّكتور -وفَّقه الله- مُعلقًا: هل علمت لماذا أقول لك بأن هذه قراءات تفسير وليست قراءات قرآنية؟**

**وقوله: ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَداءَ لِلَّهِ﴾ هذا في إقامة الشهادة عَلَى أنفسهم وَعَلَى الوالدين والاقربين.**

**﴿فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوى أَنْ تَعْدِلُوا﴾ فرارًا من إقامة الشهادة.**

**وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ آمَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ﴾ وهم الذين آمنوا بموسى ثم كفرا من بعده بعُزَيْر، ثم آمنوا بعُزَيْر وكفروا بعيسى. وآمنت اليهود بموسى وكفرت بعيسى.**

**قال شيخُنا الدُّكتور -وفَّقه الله- مُعلقًا: لا شك أن هذا أيضًا تفسير بضرب المثال وهو مشكل؛ فإن الله تعالى يثرّب على هؤلاء الذين آمنوا ثم كفروا، ثم آمنوا ثم كفروا، والأصل أن هذا ينطبق على واحدٍ بعينه أو على مجموعةٍ بعينها، وليس على مجموعة ممتدة عبر الزمان والمكان، لكن يمكن أن يقال بأن هذا فيه تثريبٌ على اليهود عندما تخيّروا من أنبيائهم من شاءوا ثم كفروا بمن شاءوا من أنبيائهم وهكذا، وهذا التفسير قد نقله غير واحد من المفسرين، لكن لا ينبغي الاقتصار عليه، ولا ينبغي أن يُذكر أولًا.**

**ثم قال: ﴿ثُمَّ ازْدَادُواْ كُفْرًا﴾ يعني اليهود: ازدادوا كفرًا بكفرهم بمحمد ﷺ.**

**قال شيخُنا الدُّكتور -وفَّقه الله- مُعلقًا: لكن الآية فيها تحذيرٌ شديدٌ للمنافقين الذين يظنون أنهم بعد أن آمنوا يستطيعون أن يرجعوا إلى الكفر ويظنون أنهم سيرجعون إلى الإسلام بعد ذلك، فيرجعون إلى الكفر في بعض الأعمال وفي بعض الاعتقادات، ثم يرون أن مصلحتهم مع الإسلام ويكون عندهم شيء فيرجعون إلى الإسلام، ثم يرون أنه لا بد أن يرجعوا إلى الكفر لأجل أن يواكبوا المصالح العالمية فيرجعون إلى الكفر عند ذلك، قال الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا﴾ لن يصل أمرهم إلا إلى أن يزدادوا ﴿كُفْرًا﴾، قال الله: ﴿لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾[النساء:137]، ولذلك قال بعدها: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ﴾[النساء:138] فإذن تحتمل عدة أنواع من التأويل وعدة صور تدخل تحتها، وما أكثر ذلك مما يحدث لبعض الذين يزعمون أنهم على الإسلام وهم يرتكبون من الكفر ما لا يرتكبه الكفار!**

**وقوله: ﴿أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ﴾ جَزْم. ولو نصبت على تأويل الصرف كقولك فِي الكلام: ألم نستحوذ عليكم وقد منعناكم، فيكون مثل قوله ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾.**

**وقوله: ﴿فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ يُقال الدرك، والدرَك، أي أسفل دَرَج فِي النار.**

**وقوله: ﴿فَأُولئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ جاء فِي التفسير: من الْمُؤْمِنِين.**

**وقوله: ﴿لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ﴾ وَظَلَمَ. وقد يكون مِنَ فِي الوجهين نصبًا عَلَى الاستثناء عَلَى الانقطاع من الأوّل.**

**وقوله: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ أي أوعية للعلم تعلمه وتعقله، فما لنا لا نفهم ما يأتي به محمد ﷺ، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلًا﴾.**

**قال شيخُنا الدُّكتور -وفَّقه الله- مُعلقًا: هو ذكر وجهًا واحدًا من أوجه التفسير في كلمة "غُلْف" وهو (أوعية للعلم تعلمه وتعقله)، ويجوز غُلْف على معناها الأصلي، وهو لم يذكر المعنى الأصلي أيْ مغلّفة لا يصل إليها خير، فلماذا تتعب نفسك معنا؟ قال الله: ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾، هم يريدون أن يعتذروا فيقولون: أصلًا قلوبنا خُلِقت مغلّفة أيْ لا يصل إليها خير مما تقولون، فيريدون أن يقولوا: بأنه ليس عليهم ضير في أن يكفروا، والله يردّ عليهم بأن الذي حصل هو باختيارهم وليس جبرًا عنهم قال: ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا﴾ لماذا؟ ﴿بِكُفْرِهِمْ﴾ فالكفر اختيارٌ منهم وليس جبرًا عليهم.**

**وقوله: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾[النساء:157] الهاء هاهنا لعيسى ﷺ.**

**وقوله: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ الهاء هاهنا للعلم, كما تقول قتلته علمًا، وقتلته يقينًا، للرأي والحديث والظنّ.**

**قال شيخُنا الدُّكتور -وفَّقه الله- مُعلقًا: يقال: قتله بحثًا، هكذا ذهب إليه مجموعة من أهل العلم كما ذكره الفراء، وبعضهم ذهب إلى أنه عيسى عليه السلام.**

**وقوله: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ معناه: من ليؤمنَّن بِهِ قبل موته. فجاء التفسير بوجهين أحدهما أن تكون الْهَاء فِي موته لعيسى، يقول: يؤمنون إذا أنزل قبل موته، وتكون الملّة والدين واحدا.**

**ويُقال: يؤمن كل يهوديّ بعيسى عند موته.**

**وقوله: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنا إِلَيْكَ كَما أَوْحَيْنا إِلى نُوحٍ﴾ كما أوحينا إلى كلهم.**

**وقوله: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْناهُمْ عَلَيْكَ﴾ نصبه من جهتين. يكون من قولك: كما أوحينا إلى رسل من قبلك، فإذا ألقيت (إلى) والإرسال اتصلت بالفعل فكانت نصبًا كقوله: ﴿يُدْخِلُ مَنْ يَشاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذاباً أَلِيماً﴾ ويكون نصبا من (قَصَصْناهُمْ).**

**وقوله: ﴿فَآمِنُوا خَيْراً لَكُمْ﴾ (خيرا) منصوب باتصاله بالأمر لأنه من صفة الأمر.**

**وقوله: ﴿وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ﴾ أيْ تقولوا: هم ثلاثة، كقوله تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رَابِعُهُمْ﴾[الكهف:22] فكل ما رأيته بعد القول مرفوعًا ولا رافع معه ففيه إضمار اسم رافع لذلك الاسم.**

**قال شيخُنا الدُّكتور -وفَّقه الله- مُعلقًا: هذا من أبدع الإيجاز في القرآن الكريم؛ فإنه يكلمنا عن عددٍ من الفرق النصرانية، فبعض الفرق النصرانية يقولون: هو ثلاثة، وبعض الفرق النصرانية يقولون: هم ثلاثة، فهو ذكر وجهًا واحدًا "هم ثلاثة" أيْ أنهم يعبدون ثلاثة آلهة، وأكثر الفرق النصرانية لا يقولون "هم ثلاثة" إنما يقولون "هو ثلاثة"، ولذلك لاحظ كيف حذف الله سبحانه وتعالى المبتدأ ليحتمل الوجهين.**

**فذكر الفراء ما يدلُّ على الفرقة الأقل عند النصارى وهو أنهم يعبدون ثلاثة على الحقيقة، ولكن بعد ذلك يعللونها بتعليلات أخرى، لكن أكثرهم لا يقولون "هم ثلاثة"، يقولون "هو ثلاثة" وهاهنا يقعون في مصيبة كبيرة وهي كيف يكون الواحد ثلاثة؟ فيحاولون أن يعللوا لذلك بتعليلات لا يستطيع أن يقتنع بها أحد، حتى هم لا يقتنعون بها ويقولون: هذه مسألة فوق العقل لا نستطيع أن نفسّرها.**

**وقوله: ﴿سُبْحانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ﴾ يصلح في (أن) مِنْ وعن، فإذا ألقيتا كانت (أن) فِي موضع نصب. وكان الْكِسَائي يقول: هي فِي موضع خفض، فِي كَثِير من أشباهها.**

**وقوله: ﴿وَلا يَجِدُونَ﴾ ردّت عَلَى ما بعد الفاء فرفعت، ولو جزمت عَلَى أن تردّ عَلَى موضع الفاء كَانَ صوابًا، كما قَالَ ﴿مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلا هادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ﴾.**

**وقوله: ﴿إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ﴾ (هلك) فِي موضع جزم. وكذلك قوله: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجارَكَ﴾ لو كَانَ مكانهما يفعل كانتا جزمًا.**

**وقوله ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا﴾ معناهُ: أَلا تضلوا. ولذلك صلحت لا فِي موضع أن.**

**سورة المائدة**

**قوله تبارك وتعالى: ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ يعني: بالعهود. والعقود والعهود واحد.**

**وقوله: ﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ﴾ وهي بقر الوحش والظباء والحُمُر الوحشيَّة.**

**قال شيخُنا الدُّكتور -وفَّقه الله- مُعلقًا: فسّر هاهنا بهيمة الأنعام بشيءٍ غير الأنعام، وهذا قول من الأقوال.**

**وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً كثيراً.**